

392306 – ما الحكمة من إبعاد يوسف عن أبيه عليهما السلام؟

السؤال

لقد قرأت في أحد المقالات أن السبب الحقيقي وراء إبعاد سيدنا يوسف عليه السلام عن سيدنا يعقوب عليه السلام وامتحانه يفقده هو: تعلق سيدنا يعقوب الشديد بابنه يوسف، فما صحة هذا القول؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أخبرنا الله سبحانه أن سبب إبعاد يوسف عليه السلام هو حسد إخوته له.

قال الله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّي نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ اللَّهِ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) يوسف/4-9).

وأما الحكمة من تقدير ذلك على نبي الله يعقوب، وابنه يوسف، عليهما السلام:

فالحكمة الظاهرة هي أن ينال يعقوب عليه السلام درجة الصبر على حكم الله تعالى والرضا بقضائه. وقد حصل له ذلك، عليه السلام.

ينظر: "أعلام الموقعين" (3/217).

وذكر القاضي عياض أن ذلك بسبب محبة يعقوب ليوسف عليهما السلام محبة شديدة، قال: "وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ ابْنَ يَعْقُوبَ يُيُوسُفَ كَانَ سَبَبَهُ التَّفَاتِهِ فِي صَلَاتِهِ إِلَيْهِ، وَيُوسُفَ نَائِمٌ؛ مَحَبَّةٌ لَهُ" انتهى من "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمسي" (2/205).

ويشبه هذا، ما ذكره ابن القيم رحمه الله من الحكمة من أمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام .

قال ابن القيم رحمه الله :

"لما كان منصب الخلة، وهو منصب لا يقبل المزاحمة بغير المحبوب، وأخذ الولد شعبة من شعاب القلب ، غار الحبيب على خليله أن يسكن غيره في شعبة من شعاب قلبه ، فأمره بذبحه ، فلما أسلم للامتثال، خرجت تلك المزاحمة، وخلصت المحبة لأهلها، فجاءته البشرى: (وفديناه بذبح عظيم).

ليس المراد أن يعذب ، ولكن يبغى ليهذب" انتهى من "بدائع الفوائد" (3/742) .

وبكل حال؛ فليس لدينا نص عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ببيان حكمة الله جل جلاله في تقدير ذلك، ولم نقف على من صرح به من السلف المرجوع إليهم في تأويل القرآن وفهمه؛ فإله أعلم بحكمته في ذلك، وهو العليم الحكيم.

الله أعلم .